

من كتاب: تزييف الوعي البشري، وإنذارات الانقراض (19)

بعض فكر يحيى الرخاوي (1) قراءة في الفطرة البشرية (1 من 2) (الأسس البيولوجية للدين والايمان) (2)

نشرة "الإنسان" 2021/07/10

السنة الرابعة عشرة - العدد: 5061



yehiatrakhawy@hotmail.com

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

للأسف: اضطررت أن أقسم المقال على يومين حين شعرت بثقل ما يحمل وآملت أن يأخذ حقه في القراءة ببطء.

شكراً

أنا أسف

الجزء الأول: ماذا آل إليه حال الدين؟

عن أينشتاين أنه قال:

\* العلم بلا دين أعرج، والدين بلا علم أعمى.

\* الخيال أهم من المعرفة.

من أقوال ابن عربي:

\* فانظر ما ترى، واعلم ما تنتظر، وكن بحيث تعلم، لا بحيث ترى.

\* لا أعلم من العقل، ولا أجهل من العقل.

من مواقف النفرى:

\* اطلع في العلم: فإن لم تر المعرفة، فاحذره، واطلع في المعرفة فإن لم تر العلم فاحذرها.

(ومن موقف المطلع)

\* من لم يستقر في الجهل لم يستقر في العلم

(موقف وراء المواقف)

أسئلة وإجابات ناقصة

نبدأ بمحاولة متواضعة للإجابة على بعض الأسئلة الأساسية منعا لخلطٍ محتمل.

السؤال الأول:

هل هناك فروق جوهرية بين الأديان؟

الإجابة الظاهرة التقليدية أنه لا توجد فروق جوهرية، وهي إجابة ناعمة هروبية كاذبة غالباً، كما أنها إجابة تُستعمل حالياً، في أغلب الأحيان للتأجيل والتسكين والخداع، ذلك لأن الواقع المعلن، والواقع الخفي يؤكدان وجود هذه الفروق بشكل صارخ لا يمكن إنكاره. صحيح أن إعلانات الاجتماعات، وادعاءات الحوارات، تعلن غير ذلك، لكن صحيح أيضاً أن فتاوى المفتيين المعلنة والمغلقة تؤكد أن الفروق الحالية في واقع الممارسة، من خلال وعود وتهديد المستقبل، أكبر من كل حسابات.

من أينشتاين أنه قال:  
\* العلم بلا دين أعرج، والدين بلا علم أعمى.  
\* الخيال أهم من المعرفة.

من أقوال ابن عربي:  
\* فانظر ما ترى، واعلم ما تنتظر، وكن بحيث تعلم، لا بحيث ترى.  
\* لا أعلم من العقل، ولا أجهل من العقل.

من مواقف النفرى:  
\* اطلع في العلم: فإن لم تر المعرفة، فاحذره، واطلع في المعرفة فإن لم تر العلم فاحذرها.

هل هناك فروق جوهرية بين الأديان؟  
الإجابة الظاهرة التقليدية أنه لا توجد فروق جوهرية، وهي إجابة ناعمة هروبية كاذبة غالباً، كما أنها إجابة تُستعمل حالياً، في أغلب الأحيان للتأجيل والتسكين والخداع.

لأن الواقع المعلن، والواقع الخفي يؤكدان وجود هذه الفروق بشكل صارخ لا يمكن إنكاره.

لكن ثم قاسم مشترك حقيقي يمكن أن يمتد حتى إلى الأساطير أيضا. (3)

### السؤال الثاني:

هل ثم فرق بين الدين والإيمان؟

الفرق موجود، ومعترف به، وهام.

فمن ناحية هما ليسا مترادفين، "قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ".

ومن ناحية أخرى هما ليسا متلازمين: فَتَمَّ متدين هو ليس في عمق أعماقه مؤمن (الآية الكريمة السابقة)، وَتَمَّ مؤمن لا ينتمى إلى دين بذاته (وهذا ليس مجال تفصيله حالاً)، وبرغم هذه التفرقة الواضحة فإن العلاقة وثيقة بينهما، فالأغلب أن الدين أو (التدين) هو المظهر السلوكي والعقائدي لما يسمى الإيمان الذي عادة يترسخ في صورة خبرة أو معاشة أو موقف وجود غائر.

### السؤال الثالث:

ما علاقة ما يسمى الروحانية بالدين؟

يعترف الكاتب بأن تناول مسألة الروح (التي هي من أمر ربي) ليست واردة في هذه المداخلة بالمعنى الشائع عن كلمة "الروحانية"، ومع ذلك يبدو أن المشتغلين بمحاولة التوفيق بين الأديان قد جعلوا ما أسماه الروحانية، نسبة إلى الروح كما صوروها أو تصوروها، هي القاسم المشترك الذي يجمع بين المتدينين.

باختصار: إن الروحانية هي مفهوم كامن في غور كل من الدين والإيمان، لكنه قد يكون اغتراباً عنهما أحياناً، بل وأحياناً أخرى يكون اغتراباً عن الواقع المعيش، وعن الجسد، وعن البيولوجيا. من هنا لزم التنويه أن الفرض المقدم في هذه المداخلة هو من منطلق أبعد ما يكون عما يسمى "الروحانية" كما يتناولها الدعاة المحدثون مؤخرًا.

### السؤال الرابع:

ما هي علاقة السلطة الدينية بالدين والإيمان؟

واقع ما آل إليه حال معظم الأديان، حتى تاريخه، هو نتيجة محاولة مقاومة استيلاء ما يسمى السلطة الدينية على حق تفسير الأديان باعتبارها من الملكية الخاصة، لهذه المؤسسة الفوقية، وقد استسلم أغلب المتدينين لهذا الترادف حتى ابتعدوا، بغير قصد غالباً، عن حقيقة وظيفة الدين وحقيقة الإيمان، ثم إن السلطة الدينية من جانبها قد استمرأت هذا الترادف فعينت نفسها وصية ليس فقط على الدين والإيمان، وإنما أيضاً على وعى الناس المتدينين (وغير المتدينين)

كثيراً ما يتردد الحديث عن الوصاية على ضمائر البشر، وهذا أمر وارد من جانب السلطة الدينية، لكن ثمة وصاية أخطر هي الوصاية الداخلية على حركية الوعي، فهي أكثر قهراً حيث أنه يترتب عليها منع معاشة خبرة الإيمان إلا بالمقاييس التي يضعونها، وليس فقط منع التفكير الحر أو منع إعلان الهرطقة.

### السؤال الخامس:

هل ثمة علاقة بين الدين والغرائز؟

الشائع في ظاهر الأمر، مع التعجل في الحكم، أن التدين يقف على طرف نقيض من الغرائز، كذلك الإيمان، وذلك باعتبار أن الغرائز بدائية فجأة، وأن الدين التزام منضبط، أو أن الغرائز دوافع دونية في حين أن الإيمان هو روحانية راقية. هذا الشائع يحتاج إلى مراجعة مسؤولة، حتى بالنسبة للغريزة الجنسية (بما في ذلك مقولات فرويد) وكذلك بالنسبة لغريزة العدوان (الذي قد تساهم إيجابياته في الإبداع)، من باب أولى: علينا أن نستوعب ابتداءً كيف أن هذا الاستقطاب غير وارد أصلاً في تناول مسألة الدين والإيمان وجذورهما البيولوجية، الغريزية.

أن إعلانات الاجتماعات،  
وإعلانات الحوارات، تعلن  
تبرير ذلك، لكن صحيح أيضاً أن  
فتاوى المفتيين المعلنة  
والمغلقة تؤكد أن الفروق  
الحالية في واقع الممارسة، من  
خلال وجود وتهديد المستقبل،  
أخبر من كل حسابات

هل ثم فرق بين الدين

والإيمان؟

الفرق موجود، ومعترف به،

وهام .

فمن ناحية هما ليسا

مترادفين، "قَالَتِ الْأَعْرَابُ

آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا

أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي

قُلُوبِكُمْ

الأغلب أن الدين أو (التدين)

هو المظهر السلوكي

والعقائدي لما يسمى الإيمان

الذي عادة يترسخ في صورة

خبرة أو معاشة أو موقف

وجود غائر

واقع ما آل إليه حال معظم

الأديان، حتى تاريخه، هو

نتيجة محاولة مقاومة استيلاء ما

يسمى السلطة الدينية على حق

تفسير الأديان باعتبارها من

الملكية الخاصة، لهذه

المؤسسة الفوقية

إن السلطة الدينية من جانبها

قد استمرأت هذا الترادف

فعينت نفسها وصية ليس فقط

على الدين والإيمان، وإنما

أيضاً على وعى الناس

المتدينين (وتبرير المتدينين)

كثيراً ما يتردد الحديث عن

الوصاية على ضمائر البشر،

وهذا أمر وارد من جانب

السلطة الدينية، لكن ثمة

وصاية أخطر هي الوصاية

الداخلية على حركية الوعي

الغرائز هي أصل الوجود، والارتقاء بها، وليس على حسابها، هو التكامل الطبيعي على مسار التطور.

وبعد:

أين يقع ما هو "دين" في منظومتنا الحياتية الآن؟

إن إمعان النظر فيما آل إليه حال التدين في الممارسة الفعلية في عالمنا المعاصر يحتاج إلى وقفة مراجعة نوجزها على الوجه التالي:

- 1) عجز التدين التقليدي عن الوفاء باحتياجات الإنسان وسعيه إلى الإبداع والتطور.
- 2) لم يستطع العلم (خاصة بمنهج التقليدي المحكم) أن يحل محل الدين والإيمان، حتى بعد أن أصبح له (للعلم) كهنته وطقوسه ومفاتيحه الجاهزين للحكم بالهرطقة على كل من خالف العلم (كما يرونه)
- 3) فشلت محاولات اختزال الدين إلى ما أتى به العلم كما فشل حبس العلم فيما يقره الدين.
- 4) فشلت أغلب محاولات التخلص التام من الدين، أو تهميشه، لصالح ما يسمى العلمانية، كما فشلت محاولات إنكاره كلية تحت زعم أن الدين مخدر للشعوب. (الشيوعية التقليدية)
- 5) فشلت محاولات تفسير التدين والإيمان باعتبارهما مجرد ميكانيزمات لسد حاجة شعور البشر بنقصهم في مواجهة قوى ساحقة أوغامضة. (التحليل النفسي التقليدي)
- 6) فشل ترويج تفسيرات تعتبر الدين بمثابة موقف أخلاقي لتحسين العلاقات في المجتمع (أو حتى باعتباره ديكورا أخلاقيا يزين حقوق الإنسان)
- 7) ثم إن محاولات تحديث الدين - بإعادة تفسير نصوصه من منطلقات أحدثت بدت وكأنها تسويق للدين بلغة معاصرة، وليست استلهاما لدوره المحوري المتكامل.

8) أما ما يسمى تثوير الدين، باعتباره دافعا مناسباً لاستعادة كرامة وإنسانية الإنسان (مثلاً: الكنيسة اليسارية، واليسار المسلم، وبعض الأفكار الشيوعية الثورية) فإنه انتهى إلى اختزال الدين إلى أداة سياسية لجمع الناس لرفع الظلم، أو حتى لاستلام الحكم أملاً في دفع الظلم أو تسليحاً بما يدفع الظلم.

9) ظهرت محاولات انقلابية وطرفية (شاذة) تعلن ما يشبه الثورة، على الدين التقليدي بإحلال أديان حديثة لكنها - لظروف معاصرة - بدت بدعاً انقلابية أكثر منها أديان بديلة، ومن ذلك:

(أ) إحياء ديانات قديمة شاذة

(ب) ابتداء ديانات خصوصية (من الكنائس الجديدة جداً حتى عبادة الشيطان)

(ج) نشاطات فيها سرية ما، تتهم بأنها ديانات (كما اتهمت الماسونيه - والروتاري)

(د) طرق صوفية خاصة جداً : قديمة أو جديدة

(هـ) تدين كيميائي (تجلى في "ثقافة الإدمان" (4) "بحركيتها في الوعي، وطقوسها رغم سلبية نتائجها.

(و) ظهرت أيديولوجيات بديلة، لها نفس مواصفات ما هو دين، برغم أنها قد تكون مبنية على إنكاره، وقد حسب أصحابها أنها يمكن أن تقوم مقام الدين وتؤدي وظيفته، ومن ذلك المناهج العلمية المغلقة اليقينية (دين العلم) وكذا المناهج التثويرية المتعصبة (دين التثوير) أو المناهج السياسية العقائدية (الماركسية التقليدية)، كل ذلك دار في فلك العقل المنطوق، لكنه اتصف بكل المواصفات التي يمكن أن يدرج بها تحت ما هو "دين".

رأى، ورؤية؟

- 1) إن كل (أو أغلب) محاولات الاستغناء عن الدين نهائياً أو استبداله، قد فشلت بشكل أو بآخر.
- 2) إن الأديان جميعاً، قبل أن تشوه تكاد تتفق في بداياتها، وإن اختلف المحتوى، لكنها تعود تتفق - إلى درجة ما وغالباً - في غايتها.
- 3) إن الإيمان ليس هو الدين، وإنما هو قبله، وبعده، وقد يكون مع التدين، (وقد لا يكون)

أن التدين يقتضيه على طرفه  
نقيض من الغرائز، كذلك  
الإيمان، وذلك باعتبار أن  
الغرائز بدائية فجة، وأن  
الدين التزام منضبط، أو أن  
الغرائز دوافع دونية في حين  
أن الإيمان هو روحانية راقية.

الغرائز هي أصل الوجود،  
والارتقاء بها، وليس على  
حسابها، هو التكامل الطبيعي  
على مسار التطور

عجز التدين التقليدي عن  
الوفاء باحتياجات الإنسان  
وسعيه إلى الإبداع والتطور

لم يستطع العلم (خاصة بمنهجه  
التقليدي المحكم) أن يحل  
محل الدين والإيمان، حتى  
بعد أن أصبح له (للعلم)  
كهنته وطقوسه ومفاتيحه  
الجاهزين للحكم بالهرطقة على  
كل من خالف العلم (كما  
يرونه).

فشلت محاولات اختزال الدين  
إلى ما أتى به العلم كما فشل  
حبس العلم فيما يقره الدين

فشلت أغلب محاولات التخلص  
التام من الدين، أو تهميشه،  
لصالح ما يسمى العلمانية، كما  
فشلت محاولات إنكاره كلية  
تحت زعم أن الدين مخدر  
للشعوب. (الشيوعية التقليدية)

فشلت محاولات تفسير التدين  
والإيمان باعتبارهما مجرد  
ميكانيزمات لسد حاجة شعور  
البشر بنقصهم في مواجهة  
قوى ساحقة أوغامضة. (التحليل  
النفسي التقليدي)

إن محاولات تحديث الدين -  
بإعادة تفسير نصوصه من  
منطلقات أحدثت بدت وكأنها

(4) إن العلم ليس له علاقة - مباشرة - بالدين.

(5) إن الدين ليس نشاطاً ترفيهياً اختيارياً.

.....

ونكمل غداً

برجاء من سيقراً نشرة باكر أن يبدأ بإعادة قراءة هذه النشرة

شكراً

- [1] المقتطف من كتاب "تزييف الوعي البشري، وإنذارات الانقراض" (بعض فكر يحيى الرخاوى) الطبعة الأولى (2019) وصورته الأولى كانت مقالات في (مجلة سطور) (من يوليو 1997 إلى يوليو 2006 + 1) والكتاب متاح في مكتبة الأنجلو المصرية وفي منفذ مستشفى دار المقطم للصحة النفسية شارع 10، وفي مؤسسة الرخاوى: 24 شارع 18 مدينة المقطم، و يوجد بموقع المؤلف [www.rakhawy.net](http://www.rakhawy.net) وهذا هو الرابط

- [2] مجلة سطور: (عدد يوليو 2004) أصل هذه الورقة هو (من ثلاثة أجزاء)، قدمت بشكل مبدئي في مؤتمر عالمي في سانت كاترين (أكتوبر 2003)، ثم قدمت في مركز ابن خلدون (فبراير 2004) ثم موجزة في اجتماع خاص للجنة الثقافة العلمية المجلس الأعلى للثقافة، ثم في منتدى ابو شادي الروبي الذي تنظمه نفس اللجنة في (18 مايو 2004) مقتصرة على الجزء الثاني منها، أما هذا الجزء الأول فهو مقدمة لما آل إليه حال الدين حتى وقتنا هذا.

- [3] إن ما جاء في هذه الفقرة يسرى على الأديان السماوية والأديان غير السماوية معاً، مع زعم أو حقيقة أن الأديان غير السماوية أقل تعصباً، وإن لم تكن - غالباً - أقل استعلاءً من الأديان السماوية.

- [4] يحيى الرخاوى (بعض ما جرى داخل المدمن: ولمحات من ثقافتنا الشعبية) منشورات جمعية الطب النفسي التطوري 2017

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD100721.pdf>

\*\*\*\* \*\*

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيقاً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2021 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار العاشر)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 19 على الويب

21 عاماً من الضج... 19 عاماً من الإنجازات

( التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13 )

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

تسويق للدين بلغة معاصرة،  
وليست استلهاها لدوره  
المحوري المتكامل

أما ما يسمى تثوير الدين،  
باعتباره دافعاً مناسباً  
لإستعادة كرامة وإنسانية  
الإنسان (مثلاً: الكنيسة  
اليسارية، واليسار المسلم،  
وبعض الأفكار الشيعية  
الثورية) فإنه انتهى إلى  
اختزال الدين إلى أداة  
سياسية

إن كل (أو أغلب) محاولات  
الاستغناء عن الدين نهائياً أو  
استبداله، قد فشلت بشكل أو  
بآخر

إن الإيمان ليس هو الدين،  
وإنما هو قبله، وبعده، وقد  
يكون مع التدين، (وقد لا  
يكون).

إن الدين ليس نشاطاً ترفيهياً  
اختيارياً